المعاني المستنبطة من الاستعاذة

1 - الاستعاذة اعتراف وإقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري ﷻ وأنه القادر على كف الشيطان ووسوسته ودفع جميع المضرات والآفات.

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: إن هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها من العبور ماذا تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك.

وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله سبحانه وتعالى إلا بالعجز والانكسار. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينقادون بالمعروف.

2 - الاستعاذة اعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين.

قال أرباب الإشارات: إن للإنسان عدوين: أحدهما ظاهر والآخر باطن، وأنت مأمور بمحاربتهما. ومن المعلوم أن محاربة العدو الباطن أولى من محاربة العدو الظاهر للأمور التالية:

أ - العدو الظاهر إن وجد فرصة لمحاربتك فعلى متاع الدنيا، في حين أن العدو الباطن إن وجد فرصة لمحاربتك فعلى الدين واليقين.

ب - العدو الظاهر إن غلبنا كنا مأجورين، والعدو الباطن إن غلبنا كنا مفتونين.

جـ - من قتل من قبل العدو الظاهر كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطن كان طريداً.

لذلك كان الاحتراز من العدو الباطن أولى، وذلك لا يكون إلا بأن يقول الرجل بقلبه ولسانه: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

وإبليس اللعين عداوته ظاهرة للإنسان منذ أول البشرية؛ عندما أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام تكريماً له ولذريته، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس امتنع من السجود تكبراً وعناداً، وقد

ذكر العلة في الامتناع: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1].

قال إبليس اللعين: أنا أفضل وأشرف منه لشرف عنصري على عنصره، لأنني مخلوق من نار؛ والنار أشرف من الطين، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟

قال ابن كثير: نظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف والتعظيم، وهو أن الله خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياساً فاسداً فأخطأ؛ قبحه الله في قياسه، في دعواه أن النار أشرف من الطين، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم، والنار من شأنها الإحراق والطيش، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار محل العذاب؛ ولهذا فإن إبليس خان عنصره فأورثه الهلاك والشقاء والدمار. ومن هنا نشأت العداوة.

قال ابن سيرين: أول من قاس إبليس فأخطأ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس.

3 - أدخل الألف واللام في الشيطان ليكون تعريفاً للجنس، لأن الشياطين كثيرة كما قلنا: مرئية وغير مرئية، وربما كانت المرئية في هذا الزمن أشد.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 12.

حكي عن بعض العلماء أنه قال في مجلسه: إن الرجل إذا أراد أن يتصدق، فإنه يأتيه سبعون شيطاناً فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه، ويمنعونه من الصدقة. للحديث المروي عن بريدة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يَفُكَّ عنها لَحْيَيْ سبْعين شيطاناً**»[1]. ورواه البيهقي أيضاً عن أبي ذر موقوفاً عليه، قال: «ما خرجت صدقة حتى يُفكَّ عنها لَحْيَيْ سبعين شيطاناً كلهم ينهى عنها». فلما سمع بعض القوم ذلك قال: سوف أقاتل هؤلاء السبعين، وخرج من المسجد وأتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة وأراد أن يخرج ويتصدق به فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى أخرجت ذلك من ذيله؛ فرجع الرجل خائباً إلى المسجد فقال العالم: ماذا عملت؟ فقال: هزمت السبعين فجاءت أمهم فهزمتني! وأما إن جعلنا الألف واللام للعهد فهو أيضاً جائز، لأن جميع هذه المعاصي بإغواء من هذا الشيطان ورضًى منه، والراضي يجري مجرى الفاعل له.

---

(1) رواه الإمام أحمد، والبزار، والطبراني، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم والبيهقي وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

4 - الاستعاذة تدفع غضب الإنسان:

عن سليمان بن صُرَد قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». فقام رجل ممن سمع النبي ﷺ، فقال: هل تدري ما قال النبي ﷺ آنفاً؟ قال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه - أي الغضب - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» فقال الرجل: أمجنون تراني؟[1].

وأن هذا المعنى مقرر في العقل من وجوه:

الأول: إن الإنسان عندما يغضب يزول عقله فكل ما يفعله ويقوله لم يكن على القول الصحيح، فإذا استحضر في عقله هذا صار هذا المعنى مانعاً عن الإقدام على تلك الأفعال وتلك الأقوال، وحاملاً له على أن يرجع إلى الله تعالى في تحصيل الخيرات ودفع الآفات، فلا جرم أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الثاني: إن الإنسان غير عالم قطعاً بأن الحق من جانبه ولا من جانب خصمه، فإذا علم ذلك يقول: أفوّض هذه

(1) رواه مسلم.

الواقعة إلى الله تعالى، فإذا كان الحق من جانبي فالله يستوفيه من خصمي، وإن كان الحق من جانب خصمي فالأولى أن لا أظلمه، وعند ذلك يفوض تلك الواقعة إلى الله ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الثالث: إن الإنسان إنما يغضب إذا أحس من نفسه بفرط قوة وشدة بواسطتها يقوى على قهر الخصم، فإذا استحضر في عقله أن إله العالم أقوى وأقدر منه ثم أنه عصاه مرات وكرات وأنه بفضله تجاوز عنه، فالأولى أن يتجاوز عن هذا المغضوب عليه، فإذا أحضر في عقله هذا المعنى ترك الخصومة والمنازعة وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

كل هذه المعاني مستنبطة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

والمعنى أنه إذا تذكر هذه الأسرار والمعاني أبصر طريق الرشد فترك النزاع والدفاع ورضي بقضاء الله تعالى.

(1) سورة الأعراف، الآية: 201.